

يوغرطة في حربه ضد روما 112 ق م – 104 ق م

د. عمران عبد الحميد

جامعة محمد بوضياف/ المسيلة - الجزائر-

الملخص:

يرى الكاتب الروماني ساليستيوس بأن يوغرطة لم يكن راضيا على أمر تقسيم المملكة النوميديّة، لكنه تظاهر بالقبول والرضى لكي لا يواجه الرومان عسكريا، وليربح الوقت وينظم أمره وتتوضح لديه الأمور.. وبعد موت العاهل ماسيسيسا تمكن من القيام بغارة خاطفة على أذربعل مكنته من الحصول على الكثير من الغنائم.. مما دفع بأذربعل إلى تقديم شكاية إلى روما عن تهديدات يوغرطة. الذي كان قد حاصر العاصمة سيرتا لمدة أشهر وهدد مصالح روما، خصوصا بعد تدفق العديد من الشخصيات الرومانية البارزة إلى المدينة قبل ذلك، كما أن الامتيازات التي منحها الملك مسيسيسا للرومان صارت مهددة.. ومع فشل اللجان الرومانية المرسلّة إلى سيرتا أعاد يوغرطة حصار المدينة والاستيلاء عليها عام 112 ق م. مما دفع بالجالية الرومانية إلى إثارة الفتن بين ورثة العرش النوميدي وإعطاء ذريعة للتدخل العسكري الروماني..

Summary

The writer Sallust that Jugurtha was not satisfied with the division of the Numidia kingdom ordered but he showed acceptance and satisfaction in order to move away from the face of the Roman army, and save time and effort, organize his command and smoke has things. Jugurtha shares the throne of Numidia with the two sons of the king, Hiempsal and Adherbal. He did however assassinate the first and attacked the second, who fled to Rome to ask for help, no change of monarch could not be done without the approval of the Senate.

The latter decides to divide Numidia between Adherbal, who obtains the eastern half, prosperous, and Jugurtha, which receives the western part, little developed. Confident in his influence in Rome, Jugurtha again attacked Adherbal in 112 BC and killed him after seizing his capital, Cirta. During the siege of this city, many Italian merchants were massacred. And managed to make a raid glance at Adherbal allowed him to get plenty of booty. Encouraging Adherbal to file a complaint in Rome for threats Jugurtha. Who besieged the capital, Cirta for months ,, making the interests of Rome threatened, especially after the influx of many Romanian dignitaries to the city before, and that the privileges granted to them by King Micipsa become threatened.

Committees Romania However sent failed to Cirta restored Jugurtha seat Cirta and catch them in 112 av / jc .. inciting the Romanian diaspora to stir up the sedition between the heirs of the Numidia throne and give a pretext for Roman military intervention

مقدمة.

عرفت بلاد المغرب القديم احتلالا رومانيا دام لقرون من الزمن، وكانت بداياته قائمة على سياسة التفرقة والتفتين بين أبناء المنطقة وحتى بين الإخوة من أجل ضرب هذا بذلك ومن ثمة تسهيل عملية الخضوع والتبعية.. وعملت على تقريب بعض الأمراء المحليين ممن تتوسم فهم تحقيق مصالحها المادية بمنحهم الحماية، وتسهيل عملية عزلهم حال الضرورة.. وفي نوميديا وبعد موت العاهل ماسينيسا، آل الحكم إلى أبنائه الذين جعلهم تحت وصاية روما.. وبعدما آل الحكم إلى ابنه ماسيبسا الذي تميز حكمه بالاستقرار لمدة ثلاثين سنة.. إلا أن موته عجل بأحداث لم تكن في حساب روما بعدما آل الحكم إلى ابنه بالتبني يوغرطة الذي تخلص من إبنه ماسيبسا.

لقد تمكن يوغرطة من الفتك بالجالية الرومانية المتحالفة مع أذربعل مما فتح الباب لحدق طبول الحرب مع روما.. ويمكننا التساؤل حول أسباب العداء للرومان من طرف يوغرطة وهو الذي تلقى التدريب واكتسب الخبرة العسكرية منها وكيف واجهت روما هذا العدو الشرس الذي يمتلك مراسا حريبا وسياسيا كبيرا؟

1/ المواجهة الصامته بين يوغرطة وأعدائه:

لكي تتوسع روما في بلاد المغرب ولكي تبسط سيطرتها على المنطقة، استخدمت أسلوب التريث ووسيلة التحالفات والمهادنة في مرات أخرى (عقدت حلفا مع ماسينيسا لتتمكن من القضاء على حنبعل في زاما 202 ق م) أو إثارة القبائل على بعضها البعض من خلال منح الامتيازات، وانتهاج سياسة فرق تسد لتجد لنفسها مبرراً للسيطرة العسكرية ولعل الملوك النوميدي أدركوا النوايا الخفية للحليف الروماني السابق فكانوا يزدونهم بالعطايا والهبات بين الفينة والأخرى لقاء الحفاظ على عروشهم، ومن بين هذه الهدايا الفيلة والخيول والقمح¹. (ارتفعت صادرات النوميدي نحو روما ما بين سنتي 175- 150 ق م بشكل كبير).

ولعل استقرار نظام الحكم في عهد العاهل ماسيبسا بن ماسينيسا لمدة ثلاثين سنة كاملة وتميزه بالسلم وبناء المملكة من النواحي الاقتصادية والحضارية يعود لهذا السبب²

وبوفاة العاهل ماسيبسا في سنة 118 ق.م، بدأت مرحلة جديدة في المملكة النوميديية، أساسها الصراع والفتنة بين الإخوة.

بعد وفاة ماسيبسا "Micipsa" سنة 118 ق.م، اجتمع الأمراء الثلاثة: - ابنه أذربال وهيمبسال وابن عمهما يوغرطة بن مستبعل للحديث حول أوضاع المملكة، وفي هذا الاجتماع تفجر الخلاف بين ورثة العرش النوميدي الثلاثة³.

أوصى ماسيبسا قد بالخلافة للأمراء الثلاثة⁴، وكان يوغرطة أكبرهم سناً، وأكثرهم تجربة، وهذا ما جعل ماسيبسا يوصيه وهو على فراش الموت بهما: " أقسم بهذه اليد الممدودة بحق ثقتنا وبقيننا بالمملكة، أترجاك وأتوسل إليك أن تبرّ وتودّ هذين الولدين، إبني عمك بقرابة الدم وأخويك من خلال النعم التي أسبغتها عليك، أترجاك ألا تبعد أقاربك الذين تجمعك بهما روابط الدم وتضم إليك الأعراب، فأقاربك هم الحراس الحقيقيون للعرش والصدقة والأصدقاء لا يمكن الحصول عليهما لا بالمال ولا بالسلاح ولكن بتبادل المصالح والإخلاص....أما أنت يا يوغرطة فأنت أكبر إخوتك سناً وأكثرهم مقدرة لأن تجعل الأمور تسير جيداً، لأنه مهما كان النزاع أقوى وأشد، فإن المرء الذي يسمو على ذلك، ويجعل الأمر لصالح الوفاق دائماً، يكون في مأمن من كل الأرزاء، أما أنتما يا أذربال، ويا هيمبسال فامنحا احترامكما وإجلالكما لرجل كهذا وتحليا بشجاعته وخصاله.. ومن خلال فضائلكما اجتنبا بأنني أثرت أبني بالتبني عن ولديّ من صليبي"⁵.

من خلال هذه الفقرة لساليستيوس يظهر بأن ماسيبسا قد أوصى إلى يوغرطة لكي يتولى أمر المملكة لعدة الاعتبارات، منها خبرته العسكرية مع الجيش الروماني ولأنه أكثر الأمرين تجربة وعمراً وقدرة على القيادة، وقد يكون ماسيبسا إختار يوغرطة نظراً لمعرفته بنوايا ابن أخيه لو أنه إختار أحد ابنيه فقد يغدر بهما، وخصوصاً وهو الذي أراد أن يتخلص منه حينما زج به في الحرب في مدينة توماس بإسبانيا سنة 134 ق.م لمساعدة سبيون الإيميلي⁶.

أظهر يوغرطة حنكة عسكرية كبيرة في الحرب، وهو الذي كان مولعاً بركوب الخيل، وصيد الأسود والحيوانات الأخرى فقد كان الأسرع في تنفيذ خطة الصيد دوما⁷.

ولعل مشاركته في حرب إسبانيا وانهار سبيون الإيميلي بكفاءته من خلال رسالته إلى العاهل ماسيبسا: (لقد أظهر ولدك يوغرطة في الحرب فضائل حسنة وشجاعة فائقة أسعدتني ونالت إعجابي وسأبذل ما في وسعي من أجل أن ينال هذا الفذ تقدير مجلس الشيوخ والشعب الروماني فباسم صداقتنا المتينة أهنتك بإبنك الشجاع فهو جدير بك وبجده ماسينيوس)⁸. ولعل هذا ما جعل ماسيبسا يقدمه على ولديه. ورغم أن الرومان

كانوا يعرفون الكثير عن شجاعة هذا الرجل وطموحه ولذلك سعوا على نشر الفتن في المملكة النوميديّة حتى تبقى ممزقة بين ملوك ضعاف حتى يسهل لهم التدخل في تنصيب من ينفذ مآربهم⁹.

2 / تصفية يوغرطة لمنافسيه:

رغم أن خلفاء ماسيبسا الثلاثة قد سادهم في البداية بعض الود وقرروا اقتسام خزائن المملكة إلا أنّ يوغرطة لم يكن راضيا عن ذلك¹⁰.

وكانت نظرة يوغرطة تكمن في تحرير المملكة من التسيير السيئ وليس في تقسيمها واقترح إلغاء الأوامر التي أصدرها الملك ماسيبسا خلال الخمس سنوات الأخيرة من حكمه نظراً لشيخوخته وتعفن المحيط (المحيطين به) الذي يتم تعيينه من المستشارين والتجار الإيطاليين الذين كانوا يوجهون قرارات العاهل لخدمة مصالحهم¹¹.

وهذا ما دفع هيمصال إلى الموافقة على مطلب يوغرطة على أن يشمل الإلغاء كذلك تبني يوغرطة من قبل ماسيبسا على اعتبار أن القرار اتخذه في سنواته الثلاث الأخيرة مما أدى بيوغرطة على الرد عليه بطريقته فأسكته إلى الأبد وذلك بعد اقتسام الأموال وإنفراد كل واحد منهم بإقليم من المملكة وهنا قضى يوغرطة على هيمصال من خلال جنوده الذين قلدوا مفاتيح قلعته وقطعوا رأسه¹².

وهنا نشأ الخلاف بين يوغرطة وأذربال والذي تحول إلى نزاع عسكري بينهما تمكن فيه يوغرطة من دحر أذربال إلى المقاطعة الرومانية، ليسيطر بعدها على نوميديا¹³، مما دفع بأذربال إلى إرسال وفد إلى روما لتقديم شكاية بيوغرطة، وفي سنة 116 ق.م انهزم أذربال وتوجه إلى روما لشرح الأمر لمجلس الشيوخ¹⁴.

3 / انتهاج سياسة الارتشاء لشراء مواقف القادة الرومان:

تفطن يوغرطة إلا أنه لو تدخلت روما عسكرياً إلى جانب خصمه قد تتمكن من السيطرة على مملكته ونهبها خصوصاً وأنه كان يدرك أطماع روما التوسعية، كما كان يدرك بحكم خبرته وخدمته العسكرية إلى جانب سيبون في إسبانيا جشع أعضاء مجلس الشيوخ ورغبتهم في جمع المال.

أرسل يوغرطة ممثلين عنه محملين بالذهب والفضة¹⁵، وذلك لشراء ضمائرهم ودفعهم إلى التفكير في المصالح الشخصية دون الوقوف إلى جانب خصمه الذي أظهر ضعفاً في الحكم، وعدم القدرة على مواجهة خصومه، مما يعد بالنسبة لروما فرصة

سانحة للتدخل والقضاء على الخصم يوغرطة الذي أظهر نواياه الحقيقية في العداء لروما، لكنه تمكن من شراء ذمم أعضاء مجلس الشيوخ بتلك الرشاوى. ومن أجل الوقوف على الوضع أرسلت روما لجنة إلى الأطراف المتنازعة برئاسة أوبيميوس Opimius عام 116 ق.م، توصلت إلى تقسيم المملكة بين الخصمين إذ آل الجزء الشرقي لأذربعل، والقسم الغربي لصالح يوغرطة، ولعل ذلك كان أنسب ليوغرطة ولروما أيضا التي رأت في خصمه طرفا ضعيفا لا يمكن التعويل عليه ولم يكن ليحوز ثقة مجلس الشيوخ، وهذا ما عزز موقف يوغرطة الذي يكون قد أدرك نيّه روما في إبعاد خصمه، فهاجمه في سنة 113 ق.م، وقضى عليه سنة 112 ق.م ليتمكن من توحيد المملكة النوميديّة تحت سلطته¹⁶ وتحقيق مشروعه في الوحدة التي كان يدعو إليها بعد وفاة العاهل مسيبسا.

4/ المجابهة المباشرة بين يوغرطة وروما:

بعدما تخلص يوغرطة من الأخوين هيمصال وأذربعل نكل بالجالية الإيطالية سنة 112 ق.م واستولى على مدينة سيرتا واتخذها عاصمة لمملكته الموحدة¹⁷ وهنا اتخذت روما القرار بتوجيه حملة عسكرية بذريعة التنكيل بالجالية الإيطالية في سيرتا من قبل يوغرطة الذي بيّن نيته في بعث مملكة قوية تخشى روما قيامها¹⁸.

في الوقت الذي استولى يوغرطة على مدينة سيرتا متخذاً إياها عاصمة لحكمه، ونزعه للامتيازات الكبيرة التي حازتها الجالية الرومانية أثناء حكم مسيبسا، والتنكيل بهذه الجالية سنة 112 ق.م وجدت روما نفسها في مواجهة مباشرة مع هذا العاهل الذي سوف لا يتوانى في مهاجمة الولاية الرومانية الإفريقية نفسها، ولذلك ثارت الطبقات الرومانية مطالبة بشن الحرب ضد هذا الشاب الذي يهدد مصالح روما رغم محاولة عرقلة مناقشات مجلس الشيوخ وتأجيل البث في اتخاذ القرار بحكم نفوذهم¹⁹.

وبعد مداوات مجلس الشيوخ الروماني بشأن الحرب، تم الإجماع على توجيه حملة عسكرية لإخضاع يوغرطة المتطاول على الإرادة الرومانية بقيادة القنصل "كالبورنيوس باستيا" Calpurnius Bastia، إلا أن يوغرطة أقنعه بالصلح والعدول عن القتال²⁰.

ويذهب سالوست بأن يوغرطة يملك قناعة بأن كل شيء يباع ويشترى في روما، وأوفد ابنه واثنين ممن يثق بهما إلى المجلس، ولما وصل الوفد بالقرب من روما، طلب

باستيا من المجلس استقبال مبعوثي يوغرة خارج أسوار المدينة، إلا أن المجلس رفض ذلك طالبا إياهم بالمغادرة، وأختار باستيا القنصل سكاوروس، المسكون يحب المال، الذي هاجم نوميديا واعتقل العديد ممن صادفهم واقترح عدة مدن²¹.

لقد قاد باستيا جيشا قوامه 40.000 جندي في أواخر ربيع 111 ق.م، ولحنكة يوغرة أقنعه بالصلح مقابل أن يعترف يوغرة بالسيادة على كامل نوميديا باستثناء لبدة الكبرى وأن يدفع مبلغا زهيدا من المال وبعض الخيول والفيلة والمواشي²².

لقد تمكن يوغرة من كسب هذه المواجهة المسلحة، وتم استدعاء القنصل باستيا إلى مجلس الشيوخ وتم عزله من منصبه، متهمين إياه بأن يوغرة استطاع شراءه بالذهب كما تم استدعاء يوغرة لسماعه في روما، إلا أنه لزم الصمت ليفشل جلسة مجلس الشيوخ، ثم قال قولته المشهورة وهو عائد إلى بلاده " روما معروضة للبيع إنها تنهار سريعا لو وجدت من يشتريها"²³.

لقد تمكن يوغرة بحنكته ومعرفته بنفسيات القادة الرومان من شراء ذممهم بالمال وثنيم على القيام بأي عمل عدائي عسكري ضد مملكته، بل وصلت به الشجاعة أن لاحق الأمير النوميدي ماسيفا Massiva بن غلوسة وحفيد ماسينيسا بروما نفسها، والذي كان يطالب بعرض نوميديا في مجلس الشيوخ، وذلك بأن دفع المال لأشخاص نصبوا كميناً لماسيفا الذي تم اغتياله ليتم توجيه التهمة إلى يوغرة التي نفاها ثم غفل راجعا إلى بلاده²⁴.

واتخذ المجلس قرارا برفض الاتفاقية المبرمة ما بين باستيا ويوغرة لعدم الاطمئنان لنوايا العاهل النوميدي، خاصة وأن الرشوة قد تمسك بها خصوم باستيا في مجلس الشيوخ²⁵.

5/ المواجهة العسكرية المباشرة بين يوغرة والجيش الرومانية:

في سنة 110 ق.م تم تعيين ألبينوس قائدا للجيش الروماني، فتوجه إلى إفريقيا على رأس جيش من 40 ألف جندي وهدفه القضاء على العاهل النوميدي يوغرة²⁶. وأظهر يوغرة كفاءة عالية مما جعل الرومان يفكرون في خيانة القائد ألبينوس المنذفع، والذي تخلى عن قيادة الجيش لصالح أخيه أولوس الذي حاول ان ينهي الحرب بسرعة، وهاجم سوتول حيث توجد خزينة العاهل النوميدي، إلا أن يوغرة تمكن من شراء الذمم وتمكن من مهاجمة معسكر أولوس. وانتقلت بعض الفرق العسكرية،

الرومانية إلى جانبه وحقق انتصارا ومنح الرومان مدة عشرة أيام لمغادرة نوميديا، وأهان بذلك روما²⁷.

لقد كان يوغرطة يلجأ إلى المباغته، في الوقت الذي كانت فيه روما تعيش تمزقا فظيعا. ووجد يوغرطة في طمع الفيالق والقيادة الرومان فرصته لزيادة هذا التمزق من خلال دفع الهبات والرشاوي²⁸.

وأدركت أدركت روما بعد هزيمة سوتول (Suthul) قوة الخصم يوغرطة وحنكته وجديته في الدفاع عن وطنه، فعينت على رأس جيشها قائدا ينتمي إلى الطبقة الأرستقراطية، يماثل حنكة ودهاء خصمه بهدف الإنتقام لشرفها المهودر في معركة سوتول. فعينت ميتلوس في سنة 109 ق.م والذي يعاونه ضابطان هما رتيلوس وماريوس²⁹.

توجه متلوس نحو نوميديا، في الوقت نفسه الذي كان الرومان يعلقون عليه أمالاً كبيرة، خاصة وأنهم يثقون في جديته وأن الرجل الذي لا يغرى بالمال الذي أدى بالمفاوضين الرومان يخذلون الجيش الروماني ويشجعون عدوهم.

لما وصل إفريقيًا وجد جيشا وأهنا متضعضا ليست له القدرة على المواجهة، مما دفع بالقائد الروماني إلى التريث حتى يتمكن من إعادة تقويته جيشه الذي انخرط في عمليات السلب والنهب وبيع ما نهب وسلب مقابل الخمر والمأكولات³⁰.

وعمد متلوس على وضع حد للفساد والرشوة في صفوف الجيش من خلال إصداره للعديد من التعليمات الخاصة لتسيير المعسكرات والحد من الفساد والرشوة³¹.

وكان هدف القائد الروماني هو إلقاء القبض على العاهل النوميدي وأمام هذا العناد الذي لم يألفه يوغرطة في القناصلة الرومان السابقين، ترك الجيوش الرومانية تتقدم نحو الغرب وكان يتابع تحركاتها حتى وصلت إلى منطقة باجة حيث جرت معركة وادي المثل التي كانت لصالح يوغرطة³².

والملاحظ أن ميتلوس كان يهدف إلى استغلال موسم الحصاد لكي يعطي للرومان فرصة جمع المحاصيل، واحتل باجة "Vaga" (بغرب تونس الحالية) التي تتميز بوفرة أسواق الحبوب ويقصدها التجار الرومان لهذه المادة³³.

وهي أيضا مدينة يستقر بها عدد كبير من المواطنين الإيطاليين الذين لديهم محلات تجارية، ويكون القنصل قد أدرك أهميتها في تموين الجيش الروماني، فاحتلها، وكان يهدف إلى إقامة حامية عسكرية بها³⁴.

وفي الوقت الذي كان فيه متلوس يتقدم غربا، حاول يوغرطة ربح الوقت فأرسل موفدين له إلى متلوس طالبا السلم ولكن متلوس استخدم أسلوب يوغرطة بأن حث مندوبيه على الخيانة ولم يجهم لا بالرفض ولا بالموافقة³⁵.

واعتمد القائد الروماني على تخريب المزارع وتحطيم القرى وإشعال النيران ولترهيب عدوه في حين استخدم يوغرطة الذكاء والحنكة ومراوغة عدوه.

ثم قام يوغرطة بتوجيه جيشه إلى مجابهة الجيش الروماني في المنطقة المسماة واد ميثول Oued Mithoul الواقع ما بين خنشلة وتبسة الحاليين (واد ملاق) وتمركزت قوته على المرتفعات لمراقبة تحركات جيش خصمه⁶. وكانت معنويات جيش يوغرطة مرتفعة³⁷.

ولاحظ متلوس بأن قوى جيشه قد خارت نظرا لحيل عدوه الذي يرفض النزول إلى الميدان للقتال، فقرر حصار مدينة زاما ZAMA لدفع يوغرطة إلى النزول لنجدة المحاصرين في المدينة إلا أنه وبحسب سالوست فإن يوغرطة أدرك من خلال الجنود الرومان الفارين إليه هذه الخطة... فتوجه إلى المدينة وحث السكان على الدفاع عن مدينتهم ومنع العدو من اختراق أسوارها³⁸.

لقد استخدم الرومان المشاعل المطلية بالقطران والكبريت والسهم المشتعلة لمحاصرة المدينة³⁹، في الوقت الذي كان فيه الرومان يقاتلون حول أسوار زاما هاجم يوغرطة معسكر الرومان وأحدث هجومه المباغت هولا لديهم ففر بعضهم واستسلم بعضهم وجرح وقتل البعض الآخر. إلا أن بعضهم وحدده سالوست بأربعين جنديا أخذتهم الأنفة واعتصموا برابية وأبدوا شجاعة وتمكن ميتلوس أن يقنع فرقه بالنصر وهو الذي لم ييأس بعد هزيمته⁴⁰.

لقد أوشك ميتلوس أن يعلن هزيمته وحاول استخدام أسلوب الخيانة باستعمال بيوميكار المتهم بتنظيم مقتل ماسيفا والذي حاول أن يثبط همة يوغرطة بجره إلى تسليم نفسه للرومان لكن هذا الأخير عاد إلى الحرب وجند فرقا جديدة واستخدم تحصينات واشترى أسلحة وعمل على شراء ذمم جنود الرومان.

وبقي حذراً واكتشف مؤامرات بيوميلكار مغيرا من خطط سيره⁴¹. ولجأ للتحالف مع قبائل الجيتول ومع ملك موريتانيا بوكوس الأول محاولاً إعادة الثقة لجيشه وتوجه جنوباً إلى مدينة تالة استعداداً للمعركة من جديد في الوقت الذي كان فيه القنصل الروماني ميتلوس يتبع خطاه ولم يترك له فرصة لاستعادة أنفاسه⁴².

وتعد تالة مركزاً لقصر وخزانة يوغرطة والتي حصرت لمدة 40 يوماً من قبل الرومان قبل أن تُستلم وتم إحراق القصر والخزائن من قبل جيش يوغرطة وبعضهم سلم نفسه للموت ولجأ يوغرطة إلى قبائل الجيتول لإعادة تشكيل جيش⁴³.

ووطد صداقته عن طريق المصاهرة مع الملك بوكوس الأول في الوقت الذي انتخب فيه ماريوس قنصلاً سنة 107 ق.م ليتولى قيادة الجيش في بلاد المغرب، وتمكن يوغرطة من الانتقال نحو "كابسا Capsa" في الوقت الذي كان فيه بوكوس قد أرسل وفداً إلى روما يطلب التحالف معه وذلك قبل المصاهرة.

وراح يوغرطة يلهب حماسة صهره بوكوس بخطاب جاء فيه إن روما بلد ظلوم وبخله لا حدود له هم أعداء كل البشرية، وقرر الملكان الزحف نحو سيرتا التي خبأ فيها ميتلوس غنائمه، وراح ينتظرهما بمعسكر محصن بالقرب من سيرتا لكنه علم بأن مقاطعة نوميديا تم منحها لماريوس مما جعله يشعر بالانهياب والجزع وتوقف عن إتمام مشاريعه لكنه أرسل إلى بوكوس يطلب منه أن يبين له أن الفرصة مواتية لعقد تحالف وصداقة والتي رد عليها الملك بوكوس بأنه يرغب في السلم لكنه أشفق على يوغرطة لتبدأ سلسلة مراسلات بينهما⁴⁴.

لقد أدرك القنصل ماريوس بأن مواجهة يوغرطة بنواحي سيرتا لن تحقق له نصراً وقرر مهاجمة المدن واحتلالها وهاجم قفصة سنة 107 ق.م، وقطع التموين عن يوغرطة وبوكوس⁴⁵.

ورغم ذلك لم يحقق نصراً واتجه غرباً لملاحقة يوغرطة كما كان يهدف إلى الضغط على بوكوس لحمله على إلغاء تحالفه مع يوغرطة.

وذلك بعدما استولى على قفصة وأحرقها وأباد ساكنيها الذين لهم القدرة على حمل السلاح، وباع الباقي كعبيد⁴⁶.

وكانت المدينة تشكل موقعا استراتيجيا، واتجه ماريوس غرباً متبعا نفس الأسلوب من أجل حمل يوغرطة على المواجهة المباشرة والمبارزة⁴⁷.

ويبين سالوست بأن ماريوس بهذا العمل أضحى قائدا لامعا وأنه كان يعامل جنده بعناية مما جعلهم ينتشون ويطنبون في إطرائه، ودفعه هذا الانتصار إلى التوجه إلى مناطق أخرى استولى عليها عنوة محدثا فيها المجازر، وبعضها أحتهل بدون دم حتى وصل إلى منطقة قريبة من وادي ملوشة (Muluchath) الفاصل بين مملكة يوغرطة وبوكوس. ويعتقد أنه بجانب الوادي توجد قلعة محصنة تحتوي على كنوز الملك يوغرطة. وفيها ما يكفي من الرجال والسلاح، وكميات كبيرة من القمح، ونبع للماء، ويمكن الوصول إليه عن طريق ضيقة صعبة⁴⁸. ولم يتمكن منه إلا بعد جهد كبير.

في الأثناء كانت جيوش يوغرطة وحليفه بوكوس تستولي على مدينة سيرتا لقطع خط الرجعة عن ماريوس مما دفع الخوف إلى نفسه وأسرع في العودة من أجل احتلال سيرتا وكانت له مع الملكين عديد المعارك منها معركة وادي العثمانية⁴⁹ وتمكن ماريوس بعد انضمام النقيب سيلا SYLLA إليه من السيطرة على المدينة مع نهاية سنة 106 ق.م وبداية 105 ق.م حيث أقام معسكراته⁵⁰.

ويذكر سالوست: "بأنه وبعد خمسة أيام من هزيمة سيرتا قام بوكوس بإرسال وفد إلى ماريوس يترجاه بأن يرسل إليه إثنين من الخلف للفتاوض معهما لما فيه صالحه وصالح الشعب الروماني، فانتدب لذلك سيلا ومانيلوس الذين بدءا الحديث لاستدراجه ومعرفة نيته إنه كان ينوي سلما أو حربا". وخاطبه سيلا: "أن أميرا ساميا مثلك يكف عن تلويث نفسه بأسوأ المجرمين يوغرطة.. وذلك يكفيننا عناء معاقبته... ولك أن تجرب بأسنا وكرمنا... ها نحن الآن نمنحك الخيار فلا تتأخر في إتمام ما شرعت فيه... وتأكد بأن الشعب الروماني يقابل النعم بنعم أوفر، حتى يكون القوي دائما، أما في ما يخص مكانته العسكرية فقد سبق لك أن عرفت ذلك...⁵¹.

لقد استخدم سيلا في خطابه إلى بوكوس أسلوب الترغيب المبطن بالتهريب لدفعه إلى القبول بالسلم ومساعدة الرومان في التخلص من يوغرطة ليس ذلك وحسب، ولكن أن يتم القبض على يوغرطة حياً لتحقيق مآرب سياسية ولكي يظهر قادة الجيش الروماني كأبطال قوميين، تمكنوا من هزيمة واحد من أشرس أعدائهم في التاريخ.

والذي أثار كل الشعب الروماني وأهانته في العديد من المرات والمواقع وكشف عيوب قاداته، وأطلق سهما في صدر روما التي عانت من خيانة أبنائها الذين باعوا ضمائرهم

مقابل المال. ويظهر بأن ماريوس وسيلا قد استفادا من سياسة يوغرطة السابقة ونقلوا ذلك إلى صفه، من خلال إحباط معنويات حلفائه⁵².

ولعل ذلك ما دفع بوكوس إلى الرد بعبارات السلم والمودة، محاولا تبرير تحالفه مع يوغرطة من خلال قوته إن كان قد حمل السلاح فذلك لم يكن لعداوة يكنها للرومان وإنما للدفاع عن مملكته على اعتبار أن القسم الذي انتزع من يوغرطة إنما يعود إليه... ومذكرا بأنه قد أرسل وفدا إلى روما يلتزم فيه الصداقة، إلا أنه لم يتم استقباله وأنه على استعداد لإرسال وفد جديد لذات الغرض إلى مجلس الشيوخ، وتمت الموافقة على ذلك⁵³.

ويبدو أن بوكوس قد انحنى باتجاه السلم المفروض نتيجة للهزائم التي تكون قد أثرت في جيش بوكوس، وقناعته بعدم القدرة على تحقيق نصر أمام محافل الجيش الروماني وجبروته خصوصا وأنه كان يستخدم حرب الإبادة ضد السكان لإرهابهم ودفعهم إلى عدم رغبتهم في الحرب⁵⁴.

وتمكن المفاوض سيلا من إقناع بوكوس أن يتخلى عن صهره يوغرطة وأن يدخل في السلم، وخصوصا بعد أن ندم بوكوس حيال أخطائه باتجاه روما حسب تعبير سالوست، فإنه سينال العفو وصداقة الشعب الروماني⁵⁵.

وبعد لقاءات عديدة تم تدير مؤامرة إلقاء القبض على يوغرطة بعد الاتفاق ما بين سيلا وبوكوس هذا الأخير الذي أبلغ يوغرطة عن طريق أحد الأمراء النوميد عن استعداد الرومان للتفاوض معه، مما جعله يذهب إلى بوكوس بلا سلاح، ليلقى عليه القبض وينقل مكبلا إلى عدوه ماريوس مع نهاية صيف 105 ق.م.

وبهذه الطعنة من بوكوس انتهت حرب يوغرطة التي دامت ست سنوات عاشت فيها روما رعبا كبيرا من رجل بارع متمرس عسكريا وسياسيا ويظهر أن روما قد استراحت من هذا العدو المزعج فأقامت لذلك احتفالات الانتصار ونقل إلى روما، لكنه قضى أياما بلا طعام وتوفي في أوائل 104 ق.م.

6/ نتائج حرب يوغرطة ضد روما:

تمكنت روما من أخذ درس قاس من خلال هذه الحرب، واقتنعت بقوة المغاربة في الدفاع عن العرض والأرض الذين تمكنوا من إلحاق عديد الخسائر

بروما، وكشفت حرب يوغرطة عن الفساد الذي كانت تعيشه روما في فصل قيادتها من خلال الرشوة وبيع الذمم⁵⁶.

_ تراجع كبير للمشاريع الاستيطانية، ولم يتمكن مجلس الشيوخ من إلحاق نوميديا رسميا بالممتلكات الرومانية وفضل بقاءها كمملكة حليفة للشعب الروماني⁵⁷.

- تنصيب الأمير غودة Gaude حفيد ماسينيسا ملكا صوريا على نوميديا الشرقية، وهو الرجل الكسيح، المريض الذي لا يستطيع إدارة المملكة⁵⁸.

_ اعتبر مجلس الشيوخ نوميديا بعد حرب يوغرطة ملكا للشعب الروماني المنتصر بموجب حق الامتلاك بعد الانتصار، وإصدار قانون 103 ق.م الذي مكن قدماء الجنود الذين وقفوا ضد يوغرطة من الحصول على قطعة أرض تصل مساحتها إلى 25 هكتاراً⁵⁹.

_ تكوين إمارة في الجزء الأوسط من نوميديا، ويعتقد أنها منطقة حرة تفصل بين مملكة موريطانيا ونوميديا، خشية قيام نزاع بين المملكتين⁶⁰.

_ وعلى صعيد آخر فإن ثورة يوغرطة، قد أفقدت مجلس الشيوخ هيئته، خصوصا بعد فضائح الرشوة في أوساطه⁶¹.

الخاتمة:

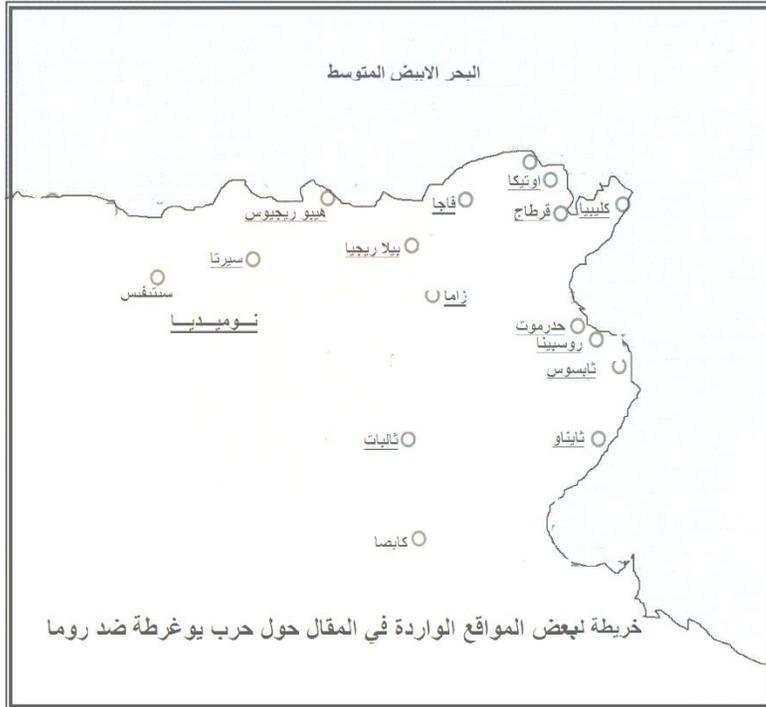
تميز يوغرطة بالشجاعة والذكاء وبعد النظر والحكمة الحربية والقدرة على التنظيم العسكري ظهرت طموحاته منذ صغره مما جعل العاهل النوميدي مسيبسا ينظر إليه بأنه سيشكل تهديدا لولديه الأميرين.. أرسله إلى إسبانيا للحرب وربما في نيته التخلص منه.. إلا أن الشاب يوغرطة أظهر نبوغا حربيا لافتا للقائد الروماني سيبيون . الأميلي الذي راسل عاهل النوميدي موصيا بشجاعة هذا الشاب.

سرعان ما تخلص من ابني عمه الأميرين أبناء مسيبسا ليقيم مملكة موحدة .. وأصبح يوغرطة قائدا عسكريا محنكا وكون جيشا ليدافع عن سيادة نوميديا مذكرا جيشه دائما بضرورة الدفاع الوطن والوقوف في وجه الرومان الذين يسعون بكل الطرق لاستغلال المنطقة.. تمكن يوغرطة من تهديد مصالحهم التي حازوها في عهد سلفه..

وخاصة التجارة والجالية الايطالية في شمال إفريقيا.. ولما حدثت المواجهة العسكرية استخدم أسلوبا لشراء ضمائر الرومان الذين لم تكن لديهم أدنى ذرة لوجب الوطن الذي انتدبهم للدفاع عنه.. سوى البحث عن مصالحهم المادية.. كشف يوغرطة روما على حقيقتها كدولة لا تمتلك من يدافع عنها بحب.. أظهر مقاومة نادرة في حربه ضد الرومان.

استطاع يوغرطة أن يحقق انتصارات هزت هيبة روما وأزلتها إلى الحضيض رغم استعانتها بخبرة قادتها العسكريين الكبار بنية القضاء على ثورة يوغرطة، وهم: ميتيلوس . وماريوس وسيلا.

ولم تتمكن من القضاء عليه الا بعد الخيانة المشؤومة من صهره بوكوس.. ويبقى يوغرطة في التاريخ الوطني قائدا عسكريا محنكا قل نظيره.. قائد تمكن بحنكته وذكائه التغلب على خصومه في الداخل وعلى أعداء مملكته من الرومان.



قائمة الهوامش:

- 1- Saumagne (Ch), *La Numidie et Rome, Massinissa et Yugurtha*, P.U.F., Paris, 1966, p100.
- 2- مسرحي جمال، *المقاومة النوميدية للاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي الجزائري، ثورات الأوراس والتخوم الصحراوية أنموذجا*، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، 2008-2009. ص، 41.
- 3- العربي عقون، *المؤرخون القدامى سالتوس، حرب يوغرطة*، دار الهدى، الجزائر، 2006، ص50.
- 4- محمد البشير شنيقي، *سياسة الروضة في بلاد المغرب، من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريطانيا*، (146ق.م، 40م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص 33.
- 5- غايوس، كريسبيوس ساليستوس، *حرب يوغرطة*، ترجمة العربي عقون، دار الهدى، الجزائر، 2006، فقرة X، ص81.
- 6- Saumagne (Ch), op-cit, p 03.
- 7- سالوست، فقرة، VI، ص78.
- 8- سالوست، فقرة، XI، ص80.
- 9- محمد الصغير غانم، *مقالات وأراء في تاريخ الجزائر القديم*، دار الهدى، الجزائر، 2005، ص155.
- 10- محفوظ قداش، *الجزائر في العصور القديمة*، ترجمة صالح عباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993، ص92.
- 11- مسرحي جمال، المرجع السابق، ص58.
- 12- محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص169. 168.
- 13- AHMED Slimani, *Massinisa et Yughurtha et Leur Influence sur l' Histoire*, trad, MADANI, ALGER, 1994, p 62,63.
- 14- Caropino(Jerome), *La République romaine (133.44 av j c)*, P.U.F, Paris, 1950, p284.
- 15- العربي عقون، المرجع السابق، ص51.
- 16- محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص35. 34.
- 17- محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص155.
- 18- العربي عقون، المرجع السابق، ص52.
- 19- سالوستوس، *حروب يوغرطة*، فقرة XXVII، ص99.
- 20- محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص36.
- 21- سالوست، فقرة XXVIII، ص99.
- 22- La Berberie, T 1, E.N.A.L., Alger, 1969, pp, 71-72. -OUSSEDIK (T)
- 23- AHMED Slimani, Op-cit, p, 67.

- 24- سالوست، فقرة XXXV، ص 106، 107.
- 25- محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص 36.
- 26- محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 157.
- 27- محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 96.
- 28- سالوست، فقرة XXXVIII، ص 108، 109.
- 29- محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 158.
- 30- سالوست، فقرة XLIII، ص 113، 114.
- 31 - cit,p,68.AHMED Slimani,op
- 32- محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 158.
- 33- AHMED Slimani, 9 cit,p,6op
- 34- سالوست، فقرة XLVII، ص 116.
- 35- محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 96.
- 36- AHMED Slimani, -op - cit,p,69.
- 37- محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 158.
- 38- سالوست، فقرة LVI، ص 124.
- 39- محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 97.
- 40- سالوست، فقرة LVIII و LIX، ص 126، 127.
- 41- محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 97، 98.
- 42- قابسا قلعة صحراوية يعتقد سكانها كانوا معفين من دفع الضرائب.. متعلقون بيوغرطة...قلعة حصينة.. جافة.. تكثر بها الأفاعي والحيوانات المتوحشة للمزيد ينظر: سالوست، فقرة LXXIX، ص 155.
- 43- محفوظ قداش، المرجع السابق، ص 98.
- 44- سالوست، فقرات LXXX, LXXXI, LXXXII، ص 143، 145.
- Oussedik (T), op cit, p,
- 87 - 45
- 46- سالوست، فقرة XCI، ص 156.
- 47- محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 160.
- 48- سالوست، فقرة XCI، ص 156.
- 49- محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 161.
- 50- Mommsen (Th), *Histoire romaine*, trad, C.A Alexander, T.5, Librairie, A. Frank, Paris, 1865, pp, 144-145.
- 51- سالوست، فقرة CII، ص 166، 167.

- 52- محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 161.
 53- سالوست، فقرة. CII، ص 167.
 54- محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص 38.
 55- سالوست، فقرة. CIV، ص 169.
 56- جمال مسرحي، المرجع السابق، ص 75.
 57- محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص 40.
 58- سالوست، فقرة. LXV، ص 132.
 59- محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص 179، 180.
 60- محمد البشير شنيقي، المرجع السابق، ص 40.
 61- جمال مسرحي، المرجع السابق، ص 78، 79.

مصادر ومراجع معتمدة في المقال

مصدر:

غايبوس، كريسبيوس ساليستوس، حرب يوغرطة، ترجمة العربي عقون، دار الهدى، الجزائر، 2006.

مراجع باللغة العربية:

- 1- العربي عقون، المؤرخون القدامى ساليستوس، حرب يوغرطة، دار الهدى، الجزائر، 2006.
- 2- محمد البشير شنيقي، سياسة الروضة في بلاد المغرب، من سقوط الدولة القرطاجية إلى سقوط موريطانيا، (146 ق.م، 40 م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.
- 3- محمد الصغير غانم، مقالات وأراء في تاريخ الجزائر القديم، دار الهدى، الجزائر، 2005.
- 4- محفوظ قداش، الجزائر في العصور القديمة، ترجمة صالح عباد، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1993.

رسائل جامعية:

- مسرحي جمال، المقاومة النوميديّة للاحتلال الروماني في الجنوب الشرقي الجزائري، ثورات الأوراس والتخوم الصحراوية أنموذجا، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة، 2008-2009.

مراجع باللغة الأجنبية:

- 1- AHMED Slimani, Massinisa et Yughurtha et Leur Influence sur l'histoire, trad, MADANI Guesserri, Dahlab, ALGER, 1994.
- 2-Caropino (Jerome), La République romaine (133.44 av j c), P.U.F, Paris, 1950.
- 3-Mommsen (Th), Histoire romaine, trad, C.A Alexender, T.5, Librairie, A. Frank, Paris, 1865.
- 4-OUSSEDIK (T), La Berberie, T 1, E.N.A.L. Alger, 1969.
- 5 –Saumagne (Ch), La Numidie et Rome, Massinissa et Yugurtha, P.U.F., Pa